



أعاصير من الأحداث السياسية والاجتماعية تعصف بمنطقةنا العربية ومحيطنا الإقليمي، وتکاد تسقط الكثير من الأنظمة التي كانت راسخة لعقود وتحوّل دولاً أخرى عرفت استقراراً لسنوات لتصنفها ضمن الدول الفاشلة، التي انفرط عقدها وفقدت القدرة على الإمساك بعجلة القيادة، فانحدرت في هوة الفوضى والعنف والقتل العبثي، سوريا مصر ليبيا اليمن تونس، ودعت سنوات من الأنظمة القمعية البوليسية لتدخل حقبة الحرب الأهلية والتنظيمات الطائفية، التي تقتل الناس بتهمة الانتقام التاريخي لأحداث وقعت قبل 14 قرن! وتندد الحكم بنفس الطرق التاريخية..

أما الأنظمة المستبدة التي خيرت الناس لعقود بين الولاء لها والتسليم بخيرات الأرض وكرامة العرض مقابل العيش الذليل حتى يوم الرحيل، هذه الأنظمة أصبحت تخير الناس اليوم بين الركوع والتسليم ببقائها، أو الموت الجماعي والدمار الشامل، قد يقولون إنها الفوضى الخلاقة التي ستنتج بعد مرور ساحتها الزائلة دولاً متقدمة ومجتمعات متحضرة، لكن هل من الضروري تدمير الأوطان وخراب العمران وإبادة الإنسان حتى ننتقل إلى التحضر والتقدم والتعايش؟!

يعيش الإنسان العربي تحت هذا الإعصار وأسفل هذا الإعصار يواجه ثلاثة عواصف:

عاصفة الأنظمة العربية: التي أنهكت الإنسان، وفشلت في تحقيق نهضة اقتصادية أو اجتماعية ومارست كل أنواع الفساد والقمع والتغيير لما يزيد عن ستة عقود.

وعاصفة التنظيمات: العنف المتطرف الذي ظهرت مع بداية السبعينيات وتکاثرت منذ مطلع التسعينيات، والتي تعيش اليوم

عصرها الذهبي من تنظيم الجهاد المصري، ثم الجماعة الإسلامية والتكفير والهجرة، وتنظيم القاعدة، ثم التوحيد والجهاد وعصائب أهل الحق، وفيلق بدر وأنصار الله، وأخيراً تنظيم الدولة الإسلامية أو (داعش).

تختلف هذه التنظيمات في منطلياتها العقدية وأهدافها السياسية، وتدرج في حجم ممارسة العنف والقتل باسم الله أو الدين أو الطائفة، لكنها تنبت من مصدر واحد وهو فكرة إنقاذ (الإنسان المسلم العربي) من الظلم والاستعباد الغربي، أو إنقاذه من تهاوي بنية الأنظمة العالمية الإسلامية العربية التي أعلنت إفلاسها القيمي وفشلها الاقتصادي الاجتماعي، وأشهرت تهديدها لهذا الإنسان بأن لا مفر منها إلا إليها أو إلى الموت.

كيف تولد التنظيمات المتطرفة، وما سبب كل هذا العنف المتولد من داخلها والموجه للآخر، وما علاقه سقوط الأنظمة بسقوط الأخلاق والقيم المجتمعية؟

يحاول الخطاب العالمي والإعلام الدولي إلصاق تهمة العنف والإرهاب بالحضارة الإسلامية، ويجاريه في هذا الطرح أبواب الإعلام العربي ودعوات النخبة التي تقلد من تبعه - مثل تقليد المريد وعضو التنظيم المتطرف لقيادته السياسية ومراجعه الفكرية -، لكن التاريخ المشترك للإنسانية يقول أن التطرف والقتل والطائفية العرقية والسياسية كان ملزماً لكل الشعوب والحضارات، وظهر في كل الديانات والعقائد المعاصرة أو القديمة، وحتى في العقائد السياسية الملحدة..

لكن ما يميز التطرف الحالي هو تركيزه على الحضارة الإسلامية، ثم انتقاله من تطرف يعيش في طرف المجتمع فكريأً ووجودياً إلى تطرف يهيمن على مركز العديد من المجتمعات، ويتوسط المجتمع أو يقوده.

رغم أن كوكب الأرض يضم العديد من الحضارات إلا أن الحضارة الغربية هي التي هيمنت عليه، وهي التي أنتجت الحداثة الحالية بمرتكزاتها: (العقلانية، العلمية، المساواة، الديمقراطية، الرأسمالية الصناعية التجارية والفلاحية..) حتى أصبح يترافق اسم الحضارة الغربية مع الحداثة.

مع انهيار المعسكر الشيوعي بقيادة الاتحاد السوفيتي وسقوط الأنظمة الفاشية، أصبحت الرأسمالية الغربية في نموذجها الأمريكي هي الممثل الوحيد للحداثة الغربية، والقائدة للإنسانية حتى أن أحد مفكريهم وهو (فرانسيس فوكوياما) في كتابه (نهاية التاريخ والإنسان الأخير) الصادر سنة 1992 بالقول بنهاية التطور الاجتماعي والثقافي للإنسانية، والشكل النهائي للحكومات وصل إلى محطة الأخيرة وهي النموذج الأمريكي! ما يفسر هذه النظرة الشمولية والحدية لـ(فرانسيس فوكوياما) هو انتماوه لتيار المحافظين الجدد الأمريكي، وتتلذذه الفكري على يد أستاذة (سامويل هنتنكتون) (1927-2008) صاحب نظرية صراع الحضارات التي دافع فيها عن فكرته بحتمية صدام الحضارات على أساس ثقافية ودينية..

كتب (سامويل هنتنكتون) مقالته الشهيرة "صراع الحضارات" بمجلة (فورين أفيرز) والتي سيتوسع فيها لاحقاً لينتج كتاباً بنفس العنوان جاءت المقالة ثم الكتاب كتكملاً وتأكيد لفكرة تلميذه (فوكوياما) حيث قسم (هنتنكتون) العالم إلى تسع حضارات تقودها الحضارة الغربية، وركز على أن الخطير القادم بعد نهاية الشيوعية هو خطر الحضارة الإسلامية، مشيراً إلى عدد الصراعات والحروب على حدود الدول الإسلامية وداخلها..

أهمية فكر صامويل هنتنكتون ليس في تتنظيره لمرحلة ما بعد الشيوعية والألفية الثالثة، ولكن في حجم تأثيره في السياسات الخارجية للولايات المتحدة القلقة على مصالحها الاستراتيجية، وحاجاتها الملحة من الموارد الطاقية الموجودة في الشرق الأوسط، ومصالحها مع حلفائها الأوروبيين الذين يخشون أيضاً على مصالحهم الاقتصادية وإرثهم الاستعماري القديم في الدول العربية الإسلامية، وخوفهم من سقوط الأنظمة العربية التي تضمن هذه المصالح على حساب مصلحة الشعوب

حالة تبادل الأدوار بين السلطات الأمريكية - الخارجية والجيوش- وبين المفكرين الأمريكيين وخاصة المحافظون الجدد التي تصل لحد التماهي، فيضعون التبريرات لقرارات الخارجية الأمريكية أو يكتبون مصوغات أخلاقية ودفاع فكري لحروب الجيش الأمريكي حول العالم، هذا التداخل وتبادل الأدوار بالإضافة لإشغال الرأي العالمي الأمريكي والأوروبي بصناعة عدو افتراضي يهدد حياتهم وقيمهم واقتصادهم يتمثل في (الإرهاب الإسلامي) العابر للقارات، يُلهي الإنسان الغربي عن مشاكله الحقيقة في الركود الاقتصادي والأزمات الاقتصادية، أو العنصرية المتفشية في بلدانه، أو تدمير البيئة وحجم التلوث والأمراض المزمنة، التي يعاني منها جراء التقدم والتصنيع المفسول عن الأخلاق.

الأزمات التي تعصف الحادثة الغربية أو بالحضارة الغربية وأولها أزمة الغاية والوجود:

حيث فشلت هذه الحادثة في إيجاد هدف لحياة الإنسان الغربي، الذي تنكر لفكرة الإله أو الدين منذ قرون، فوجد نفسه يعمل ويراكم الثروة ويضاعف لذة الشهوات (الطعام، الجنس، اللباس، الثروة) دون هدف أو غاية.

فشل النظم الديمocrاطية في تحقيق إرادة الإنسان الغربي حيث يجد هذا الإنسان نفسه أمام قرارات لا تمثله، مُتخذة من هيئات وصلت بديمقراطية أصواته، أو يرى حكوماته المنتخبة تختلف إرادة شعوبها -أغلب البريطانيين والأوروبيين كانوا ضد الحرب في العراق ورغم ذلك شاركت فيها جيوشهم-.

فضيحة وهم المساواة: قامت الحادثة الغربية على مرتکز المساواة بين الأفراد دون تمييز عرقي أو ديني أو طبقي، لكن الواقع يفضح بشاعة العنصرية المتزايدة والتمييز والاعتداءات على مواطني هذه الدول بسبب اختلاف اللون أو اللهجة.

التقدم المفسول عن القيم والأخلاق: تَعَتَّبِ الحادثة الغربية العالم مجرد مادة بدون روح أو قيمة وهذه المادة معدة لتلبية حاجيات الفرد الغربي وصناعاته وشركته الرأس مالية بدون حسيب أو رقيب، فتستهلك الصناعات الغربية موارد الكوكب من معادن وغابات ومياه وحيوانات، وحتى إبادة شعوب إنسانية أخرى وتدميرها ملوثة أرضها وجوها دون وضع مُصوَّغ أخلاقي، فالعالم وموارده وشعوبه مجرد مادة بدون وعي أو قيمة كما سبق.

إصرار الحضارة الغربية على تعميم نموذج حادثتها بما تحمله من أزمات هوية وغاية إلى باقي شعوب وحضارات العالم، وفي واجهة هذه الحضارات والشعوب الإنسان العربي المسلم: فهو تارة مستباح الأرض بسرقة موارده (بتروله، شواطئه، أراضيه، الفلاحية)، أو استغلاله في معامل دون اعتبار لأبسط شروط الكرامة، واعتبار أرضه مكان حل إشكاليات الحادثة الغربية، حيث صدرت الحضارة الغربية مشكلة اليهود داخلها بإرسالهم وبناء دولة عنصرية عسكرية معادية لهم في قلب الحضارة العربية الإسلامية، ودعم الكيان الصهيوني ليخوض حروب وأزمات أنهكت الدول والإنسان العربي المسلم وعطلت مسيرة تنميته.

الإنسان الغربي الذي ينظر لنفسه من خلال تعريف الحادثة الغربية له ككائن موجود بالصدفة والعبث متتطور عبر القوانين الداروينية: الصراع والبقاء للأقوى، والمنشغل بتلبية شهواته ولذاته، (الأكل، الجنس، الثروة)، وأزاح كل المسلمين والمقدسات في سبيل تحقيق المزيد من اللذة، يسعى لتعميم رؤيته أو أزمته لباقي الشعوب، منها تدنيس مقدسات باقي الحضارات: سرقة الآثار العراقية بعد الإحتلال الأمريكي، تدنيس المصاحف في سجن غوانتنامو، الرسوم المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم..

دعم الحركات والمنظمات التي تروج للإباحية، وتجعل من الانحرافات الجنسية حرية شخصية - حادثة تعرى عضوات

حركة (فيمن) في آثار مسجد حسان بالرباط –، مطالبة الأنظمة في الدول العربية لتعديل قوانينها حتى تعطي حقوق زواج المثليين والسحاقيات وتمكينهم من حق تبني الأطفال وتوسيع مفهوم الأسرة ليشمل حق زواج الإنسان بباقي الحيوانات مثل البغال والأبقار والقردة..

الدول بتنين وتشريع الحق في زراعة المخدرات وبيعها واستهلاكها، ثم الحق في الإجهاض والانتحار وإنهاء حياة المرضى..

مثـل تيار داعش الذي كـفـر بكل مظاهر الحداثة والتعايش، وجـابـه ظـلمـ واستغـلالـ الحـضـارةـ الـغـرـبـةـ لـلـإـنـسـانـ بـالـمـزـيدـ منـ العـنـفـ والـتـوـحـشـ، ظـهـرـ تـيـارـ فـاحـشـ الـذـيـ يـدـعـوـ لـمـوـاجـةـ تـخـلـفـ الـإـنـسـانـ الـعـرـبـيـ وـضـعـفـهـ أـمـامـ عـدـوـانـ الغـرـبـ الرـأـسـ مـالـيـ وـالـأـنـظـمـةـ الـعـمـيلـةـ لـهـ بـالـمـزـيدـ منـ التـحـلـلـ مـنـ الـأـخـلـاقـ وـالـقـيـمـ، وـإـلـغـاءـ الـهـوـيـةـ وـتـدـنـيـسـ الـمـقـدـسـ وـرـفـضـ مـؤـسـسـةـ الـأـسـرـةـ وـإـزـالـةـ إـلـهـ لـوـضـعـ مـكـانـهـ إـلـهـ آـخـرـ هـيـ آـلـهـةـ الـلـذـةـ وـالـأـسـتـهـلـكـ الـعـبـيـ، أـمـامـ هـذـاـ تـيـارـ يـقـفـ الـإـنـسـانـ فـيـ حـالـةـ دـفـاعـ عـنـ آـخـرـ قـلـاعـهـ الـتـيـ يـحـفـظـ فـيـهـ سـبـبـ وـجـودـهـ وـيـرـبـطـ فـيـهـ بـقـاءـهـ فـيـ الـحـيـاـةـ بـهـدـفـ يـتـعـدـىـ مـرـحـلـةـ مـاـ بـعـدـ الـمـوـتـ، وـيـمـنـيـ نـفـسـهـ بـفـكـرـةـ الـعـدـالـةـ الـمـطـلـقـةـ وـالـخـيـرـ الـذـيـ سـيـنـتـصـرـ عـلـىـ الشـرـ فـيـ كـلـ نـهـاـيـةـ.

طريق الإسلام

المصادر: